تاريخ الإرسال: 2015/02/08 - تاريخ القبول للنشر: 2015/05/24 تاريخ النشر: 2015/06/28

دراسة استتار عناصر الجملة من منظور تركيبي

عـــيسى قـــــيزة
جامعة ميلة

قال تعالى: (اُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ) (البقرة |45).

يذهب النُّحاة التَّقليديون إلى أنَّ جملة(اسكن أنت)تتكوَّن من ثلاثة عناصر لغويَّة وهي:(اسكن)و(أنت)و(أنت). وذلك بتقدير الضمير المنفصل(أنت). فهو مكوّن أساسيٌّ من مكونات الجملة وإنْ كان غير ملفوظ به.وهو–حسب رأيهم– فاعل؛ إذ<<لا يستتر من المضمرات إلاَّ المرفوع لأنَّ المنصوب والمجرور فضلة؛لأنَّهما مفعولان،والمرفوع فاعل وهو كجزء الفعل فجَوزُوا في باب الضَّمائر المتَّصلة التي وضعها للاختصار استتار الفاعل؛لأنَّ الفاعل وخاصَّة الضَّمير المتَّصل كجزء الفعل فاكتفوا بلفظ الفعل عنه>>(1).أمَّا الضمير المنفصل الثَّانيُّ والمذكور في الجملة فهو توكيد<< تأكيد للمستكن في اسكن>>(2).بهذا تأخذ الجملة السَّابقة الشَّكل الآتيّ:

اُسْكُـــنْ أَنْـــتَ أَنْـــتَ .

فاعل توكيد

بهذا يحصل التَّكافؤ بين الجملتين:

اُسْكُـــنْ أَنْـــتَ = اُسْكُـــنْ أَنْـــتَ أَنْـــت

فإلى أيِّ مدى يتمُّ قبول مثل هذا التَّحليل ؟؟

1–على مستوى البنيَّة المركبيَّة و التي فيها تكون عناصر الجملة سلسلةً مُتتابعة ، أو مجرد متواليات من الكلمات المتسلسلة وفق نسق تتابعيّ،وذلك بوضع الواحدة منها بعد الأخرى،في نظام خطيّ مقبول. فالكلمات تعتمد على <<الطبيعة الخطيَّة(linéaire) للغة؛لأنَّها مرتبطة بعضها ببعض.وهذه الحقيقة تَحُول دون النُّطق بعنصرين في آن واحد .إنَّ هذه العناصر مرتبة بصورة متعاقبة في سلسلة الكلام>>(3)؛لأنَّ حدث الكلام يندرج في صلب مسار الزَّمن(4). وهذا التَّرتيب القائم في السِّلسلة ترتيب حضور Simultanéité في القول المكتوب

1– الإستراباذيُّ، شرح الرضيّ على الكافيَّة ،تحقيق يوسف حسن عمر ،دار الكتب الوطنية،بنغازي ، ليبيا،ط2، 1996، ج2، ص 426

2 – الزَّمخشريُّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل،تحقيق عادل أحمد عبد الوجود وآخرون، ط1، 1998،مكتبة العبيكان، الرياض، ج1،ص235 .

3 – دي سوسير'علم اللغة العام 'ترجمة يوسف عزيز' دار الكتب 'العراق 'د ت 'ص 142.

4 – عبد السلام المسدي،التَّفكير اللسانيّ في الحضارة العربيَّة ،الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 1986، ص267

أو المنطوق.

أنـــت

اُسْكُـــنْ|....| أَنْـــتَ

فاصل زمنيٌّ

وفق تمثيل الجملة وهو ما يوافق تحليل النُّحاة لها نجد فاصلا زمنيًّا(توقفا أو تقطعا)على مستوى النُّطق(التلفظ) بالعناصر المكوّنة للجملة.وهذا التَّقطع ناتجٌ عن إظهار الضَّمير المستتر(أنت)بحكم أنَّه في حكم الموجود رغم عدم النطق بهَ.بهذا لا يحصل التَّناسب بين <<نظام تجاور النقاط>>(1) وعليه لا نجد على مستوى البنيَّة المركبيَّة للجملة توافقا بين البنيَّة الملفوظة للجملة؛أي الموجدة في الواقع،وبين البنيَّة المقدرة لها والتي وجدت عند النُّحاة بسبب تقدير الضَّمير.

فالبنيَّة المركبيَّة مع البنيَّة المركبيَّة

لجملة (اسكن أنت) لا تتوافق مع جملة(اسكن أنت أنت)

2- أمَّا من النَّاحيَّة التَّركيبيَّة فتمثِّل الجملة(اُسْكُـــنْ)حسب تعبير النحاة جملة إسناديَّة تتكوَّن من مسند ومسند إليه.يتمثَّل المسند في فعل(اسكن).أمَّا المسند إليه فيتمثَّل في الضمير المستتر وجوبا في(اسكن) وتقديره(أنت).وبذلك تأخذ الجملة السابقة عندهم الشكل الآتي:

اسكـــــن + أنـــــت

جملة إسناديَّة + توكيد

بهذا يحصل الاتفاق في البنيَّة التَّركيبيَّة الخاصة بالجملتين :

([اسكن] + [أنت]) و ([اسكن أنـــــت] + [أنت])

مسند +مسند إليه

ج إسناديَّة + توكيد ج إسناديَّة + توكيد

غير أنَّ الأولى غاب فيها المسند إليه عكس الثَّانيَّة.ورغم استتار الفاعل فإنَّ الجملتين لهما بنيَّة تركيبيَّة واحدة .

إنَّ تحليل النُّحاة للجملة السابقة وبيان وظيفة العناصر اللغويَّة المتكوّنة منها كان مبنيًّا على التَّقدير والاستتار .ولكن هل يكون التَّقدير والاستتار حلاً يتمُّ اللجوء إليه لتحديد وظيفةَ العناصر اللغويَّة ؟.

باعتماد تحليل النُّحاة لجملة(اسكن أنت) نكون قد غيَّرنا من بنيتها التَّركيبيَّة وذلك من خلال منح وظيفة

1 – أوزوالد ديكرو– جان ماري سشايفر،القاموس الموسوعيُّ الجديد لعلوم اللسان،ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافيُّ العربيُّ ، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2007،ص 252.

تركيبيَّة وهي وظيفة المسند إليه لعنصر غائب لا يوجد في الواقع الشَّكلي للملفوظ.ووجوده متحقق إلا في التَّمثيل الذِّهنيّ للجملة.

لذا تتشكَّل الجملة(اسكن أنت)من عنصرين لغويين لا ثالث لهما؛ وهما:

(اسكن) و(أنت).

يأخذ العنصر اللغوي(اسكن)وظيفة المسند .بينما يأخذ الضمير المنفصل(أنت) وظيفة المسند إليه.وهو فاعل حسب تعبير النُّحاة التقليديين:

اسكـــن أنـــت

مسند مسند إليه

بهذا يتمُّ الاعتراض على استتار الفاعل(المسند إليه) فهو موجود<<ولا حاجة للبحث عنه>>(1).فمن الوجهة التَّركيبيَّة يتمُّ رفض الاستتار؛ إذ<< ليس عندنا ضمائر مستترة لا جوازا ولا وجوبا كما يرى نحاتنا التَّقليديون>>(2). وفي التَّخلي عن فكرة الاستتار

–كما يرى جبر محمد عبد اللّه – تخليصا للنَّحو من الفكر الفلسفيّ وإذا ما تتبعنا الأشَّكال التي افترض النُّحاة استتار الضمائر فيها وجدنا التَّخلي عن هذا الغرض عملا مرضيًّا فيهَ رعاية للواقع اللغويّ دون تدخل من الفكر الفلسفيّ(3) . بهذا لا يتمُّ في التَّحليل التَّركيبيّ مراعاة الاستتار؛وذلك لعدم واقعيتَه؛لأنَّه بلا شك أمر غير واقعيّ(4) إذ به يتمُّ تقدير عنصر لغويّ لا وجود فَي الواقع الشَّكلي للملفوظ. فمن غير المفيد –كما جاء عند عبد الحميدَ دباش–أن نضيف إلى الواقَع الشَّكليّ عنصرا جديدا هو في غنى عنه للوصول إلى نوع العلاقة التي تربط بين العنصرين اللغويين(5):

(اسكن أنت) و(أنت).

فالحذف والاستتار والتَّقدير ليست أمورا لغويَّة لفظيَّة وإنَّما هي أمورٌ دلاليَّة(6).بمعنى أنَّ الاستتار والتَّقدير مسالك دلاليَّة لا تدخل في الجانب التَّركيبي. حيث إنَّ المؤلفات التَّركيبيَّة تنتمي إلى المستوى الشَّكليّ الظَّاهريّ للجملة ؛ أي المستوى الملفوظ بالفعـــل لا الملحوظة في الذهن.فيكون تواجدها تواجدا صريحا ظاهرا غيَر مضمر(7).وعليه يكون للمؤلف (العنصر اللغويُّ)وظيفة تركيبيَّة إذا كان ظاهرا ؛أي له وجود ماديٌّ في الملفوظ.أمَّا العناصر الغائبة المستترة فلا وظيفة تشغلها.أيْ ما انعدم شكلا انعدم وظيفة،أيْ غاب تركيبيًّا.فتركيبيًّا يتمُّ رفض كلِّ ما ليس ظاهرا وما ليس له وجود ماديٌّ في الملفوظ .وهو ما سعى إليه علم اللغة الحديث والذي يُعنى بالتَّركيب الموجود

1–ابن مضاء القرطبي ، الرَّدُّ على النُّحاة ،تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، بيروت، ط1، 1979، ص 81 .
2 – الجرح محمد سالم، نظريَّة تحليليَّة مقارنة على الضمائر العربيَّة ،مجلة اللغة العربيَّة ،الجزء 22، 1967، القاهرة ،ص 56 .
3 –جبر محمد عبد اللّه،الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف ،القاهرة، 1980،ص 114 .
4– ينظر : عبد الرحمن أيوب،دراسات نقديَّة في النَّحو العربيّ، ص52 .
5–A .Debbache ’le prédicat syntaxique en Arabe ’p111 .
6 – ينظر :عبد الرحمن أيوب،دراسات نقديَّة في النَّحو العربيّ، ص52 .
7 – ينظر : عبد الحميد دباش، بين قدرة الفعل وتعديته، مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر بسكرة، بسكرة ، الجزائر، عدد6،جوان 2004 ، ص201 .

فعلا واصفا له محددا وظيفته.بالإضافة إلى أنَّ تحديد وظيفة العنصر اللغوي يكون بناء على ما هو موجود من خلال علاقته بالعناصر الموجودة بالفعل لا بالعناصر الغائبة التي يتمُّ تقديرها .

بهذا ينضمُّ العنصران اللغويان:(اسكن)(أنت)إلى بعضهما بصفة إلزاميَّة ليشكلا جملة لا تقبل التَّعويض بأيٍّ منهما.كما أنَّها لا تحوي بين مؤلفاتها عنصرا اختياريًّا يكون توسعة.فهما إذا في علاقة استلزام تبادليّ :

3- أمَّا على المستوى الإخباريّ وإذا كانت كلُّ جملة تحتوي على مخبر عنه ومخبر به؛ ويُمثِّلان<<الصُّورة التي يستعملها المتكلم للتأثير في سلوك مخاطبه>>(1) وقد أرجع النُّحاة<<كلَّ الكلام إلى الخبر من جهة المعنى>>(2).يُمثِّل الفعل (اسكن) المخبر به.بينما يُمثِّل الضمير المنفصل(أنت)المخبر عنه .

اســـــكن أنـــــت

مسند مسند إليه البنيَّة التَّركيبيَّة

مخبر به مخبر عنه البنيَّة الإخباريَّة

وتقبل جملة (اسكن أنت) التَّمثيل البيانيَّ الآتيَّ :

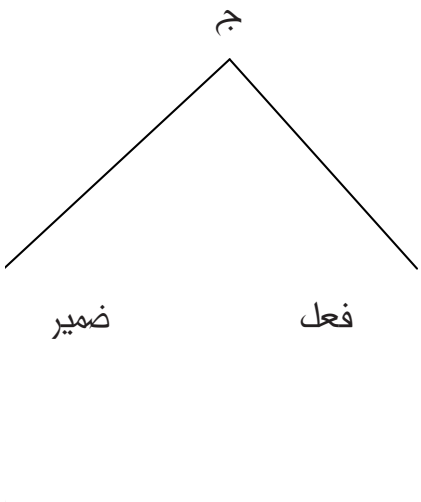

النتائج:

- تقدير النُّحاة للضمير المنفصل (أنت) في قوله تعالى:

(اُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ) جعل من بنيَّة الجملة المُركبيَّة غير متناسبة مع مسار الزمن.لأنَّ مسار الزمن يشترط حضور(Simultanéité)العناصر اللغويَّة –كتابة ونطقا– وتواليها على البعد الأفقي .

1 –ينظر : ابن يعيش، شرح المفصل،علم الكتب ،بيروت،ج1 ، ص 20 .
2 – ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

–ما غاب عن الواقع الشَّكليّ الماديّ فليس له وظيفة تركيبيَّة .أيْ ما غاب شكلا غاب وظيفة ومن ثمَّ غاب تركيبيًّا .

–إنَّ استتار الضمير المنفصل(أنت)في قوله تعالى:

(اُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ)

وغيابه عن الواقع الشَّكليّ الماديّ أفقده أيَّ معنى ؛إذ لا يمثِّل عنصرا من عُنصري الخبر وهما المخبر عنه والمخبر به .

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر :

القرآن الكريم،دار القرآن الكريم،بيروت،لبنان،ط1، 2009.

المراجع:

1– أوزوالد ديكرو– جان ماري سشايفر،القاموس الموسوعيُّ الجديد لعلوم اللسان،ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافيُّ العربيُّ ، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2007.

2– الإستراباذي،شرح الرضيّ على الكافيَّة ، تحقيق يوسف حسن عمر ،دار الكتب الوطنيَّة ، بنغازي ، ليبيا،ط2، 1996.

3– ابن مضاء القرطبي(أبو العباس احمد بن عبد اللّه) ، الرَّدُّ على النُّحاة ، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، بيروت، ط1، 1979

4 – ابن يعيش(موفق الدين)، شرح المفصل،علم الكتب ،بيروت.

5 –جبر (محمد عبد اللّه)،الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف ،القاهرة، 1980 .

–6الجرح (محمد سالم)، نظريَّة تحليليَّة مقارنة على الضمائر العربيَّة ،مجلة اللغة العربيَّة ، الجزء 22، 1967، القاهرة .

7 – دي سوسير(فرديناند)'علم اللغة العام 'ترجمة يوسف عزيز' دار الكتب 'العراق 'د ت.

8 – الزَّمخشريُّ، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل،تحقيق عادل أحمد عبد الوجود وآخرون، ط1، 1998،مكتبة العبيكان، الرياض .

–9عبد الحميد(دباش)،بين قدرة الفعل وتعديته،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، عدد6، جوان 2004 .

10– عبد السلام (المسدي)،التَّفكير اللسانيّ في الحضارة العربيَّة،الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 1986.

11- عبد الرحمن أيوب،دراسات نقديَّة في النَّحو العربيّ،مؤسسة الصباح ، الكويت.

الأجنبية:

1-Debbache(A.H) 'le prédicat syntaxique en Arabe 'thèse de Doctorat nouveau régime' Université de Provence centre 'Aix-en- Provence . 'France '1992